آفاق

ملحق أسبوعي يصدر عن صحيفة 14 أكتوبر مرتين في الشهر مؤقتاً بالتنسيق مع مركز سبأ للدراسات الاستراتيجية

الأربعاء - 29 ديسمبر 2010 - العدد 15037

Wednesday -29 December 2010 - Issue 15037

التلوث البصري

أ. نبيل علي اللوزي *

تعيش صنعاء وغيرها من المدن اليمنية نقلة حضارية تحولية في كثير من المجالات، لاسيما في المجال المعماري وفنه. هذه النقلة الحضارية تأخذ في طياتها أبعاداً اجتماعية وثقافية غير واعية، وقد يصاحبها وعي إلى حد ما. ذلك أن جميع مدن العالم هي عبارة عن سكان وافدين من أماكن مختلفة تجمعهم مصلحة اقتصادية ، أو ثقافية ، أو علمية ...الخ، ذلك هو منشأ المدينة ، فتتكون لكل المدن سمات وميزات تعدد وتنوع اجتماعية وثقافية مختلفة غير متجانسة، وهذا شيء إيجابي، لأنه يساعد على خلق حوار فكري خلاق ورؤى مشتركة نتيجتها الحتمية هي القدرة على التعايش مع الآخر كيفما كان فكره أو اتجاهه، والكل يخضع لقانون المدينة الذي يراعي التعددية.

ويبدو لي أننا في مدننا اليمنية مازلنا نعيش البدايات الأولى للمدنية لأن الأمية الثقافية والفنية المنتشرة في المدن تحمل في طياتها ثقافة المجتمع بشكل عام، والحركة العمرانية بشكل خاص، وآلية تحرك السكان واستقرارهم تعكس الشكل العام للمدينة والذوق العام للمجتمع بكليته .

ما يهمنا هنا هو الكيفية التي تبدو عليها العديد من المباني عند إنشائها، فقد أصبح من المألوف مشاهدة التشوهات المنتشرة في الشكل والمظهر الخارجي لكثير من المباني والمنشآت في المدينة اليمنية ، الذي لا يراعى الذوق العام للمجتمع وحتى للزائرين، هذه التشوهات تعكس مستوى الأمية الثقافية والفنية للمجتمع، والتي بدون شك تترك آثارا سلبية على سلوك ومزاج الأفراد والمجتمع على حد سواء ، وهذا يشكل ما يعرف بالتلوث البصري وآثاره على المجتمع الذي سنتحدث عنه .

تعريف التلوث البصري:

ورد تعريف التلوث البصري بصيغ مختلفة، لكنها تحمل مفهوماً واحداً، فقد جاء في الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) أن التلوث البصري (Visual pollution) هو ما يطلق على العناصر البصرية غير الجذابة، وهي المناظر غير الطبيعية، أو أي شيء آخر يريد الشخص أن ينظر إليه. وكأمثلة على ذلك اللوحات السيئة، أو القمامة، وبعض الجدران، والمباني غير المدروسة، والعمارة غير المنظمة، والعلامات، والأعشاب، العشوائية.

وبمعنى آخر هو تشويه لأي منظر تقع عليه عين الإنسان يحس الناظر إليه بعدم ارتياح بصري ونفسي. ويمكننا وصفه أيضاً بأنه نوع من أنواع انعدام الذوق الفني، أو اختفاء الصورة الجمالية لكل شيء يحيط بنا من أبنية و طرقات، أو أرصفة ... وغيرها.

خطورة التلوث البصري

تكمن خطورة التلوث البصري في حالة استمراره، في أن المجتمع يفقد من حوله الذوق العام وينخفض مستوى الإحساس والشعور الجمالي والفني ، الأمر الذي يؤدي إلى خلل في المنظومة القيمية الاجتماعية التي من المفترض أن يسعى المجتمع للوصول إليها، وبالتالي يحصل تشوش عام في الإدراك لما يتلقاه الفرد في المجتمع من معلومات وثقافات اجتماعية من حوله، كما أن لها آثارا سلبية قوية على المزاج العام للفرد والمجتمع، حيث يؤدي الاستمرار لهذا التلوث إلى خلق ثقافة عكسية في السلوك، تجعل الفرد يشعر بالمضايقة والاستفزاز غير الواعي، فيصدر منه سلوك يضايق الآخرين ويؤثر عليهم ، ويعد التلوث البصري من وجهة نظر البحث الاجتماعي والنفسي من أهم الأسباب التي تولد الكبت الاجتماعي، وتجعل المجتمع بكليته يعاني من الاكتئاب الذي ينعكس مباشرة على الصحة العامة للفرد الذي يغدو عرضة لأمراض القلب وضغط الدم والسكر.

يشير العديد من المهندسين المعماريين، ومن بينهم م. حسين التميمي إلى أن خطورة التلوث البصري تكمن في ارتباطها بالدرجة الأولى بفقد الإحساس بالجمال، وانهيار الاعتبارات الجمالية، والرضا، والقبول للصورة القبيحة، وانتشارها حتى أصبحت بالمقياس المرئي للعين عرفاً وقانوناً موجوداً، ويمكن رصد مصادر التلوث البصري ومظاهرها في شوارع وطرقات وأحياء المدينة من خلال بعض المظاهر الإنشائية التالية:

- تباين أشكال المنشآت بين القديم والحديث في الموقع الواحد، وبروز فارق تقنيات ومواد البناء بين منشأ وآخر يؤدي إلى نشاز واضح في التناغم التصميمي لها، حيث أن التطور الهائل والسريع لمواد البناء، وخصوصاً المواد المستخدمة في تغطية واجهات المباني كالزجاج والألمنيوم وغير ذلك من مواد التشطيب النهائي، أدى إلى تباين في شكل المنشآت حتى لو كان الفارق الزمني بين انتهاء تشطيب المنشآت بسيطا.
- دور الكلفة المادية في تحديد مواد التشطيب النهائية التي تحدد الشكل العام للمنشأة، فأحياناً يقف المالك حائلاً دون اعتماد مواد تشطيب معينة تضفي على المبنى شكلاً جميلاً، ويفضل مواد أخرى أقل كلفة وجمالاً قد تشوه المبنى، وهنا يكمن دور المعماري المصمم في إقناع المالك باعتماد مواد تحقق للمبنى جماله ورقي تصميمه.
- تنفيذ واجهات المبنى مخالفة للواجهات التي تم اعتمادها من قبل البلدية، فيقدم المعماري المصمم مشروع تصوراً للواجهة الرئيسية مثلاً للاعتماد من قبل البلدية، لكن عند التنفيذ يقوم المالك بتنفيذ واجهة مخالفة تماماً لما تم اعتماده، سواء في الشكل أو الألوان، دون دراسة، مما يشوه المبنى، ويؤثر على ما حوله من مبان.

أنواع التلوث البصري:

هناك عدة مظاهر تشكل أنواع التلوث البصري التي تغزو المدن الحضرية، وسنحاول أن نتكلم عن أكثرها انتشاراً وهي :

- سوء التخطيط العمراني لبعض الأبنية، سواء من حيث الفراغات أو من حيث شكل بنائها.
أعمدة الإنارة في الشوارع ذات ارتفاعات عالية لا تتناسب مع الشوارع.
- صناديق القمامة بأشكالها التي تبعث على التشاؤم.
- اختلاف دهان واجهات المباني.
- استخدام الزجاج والألمونيوم، مما يؤدي إلى زيادة الإحساس بالحرارة.
- أجهزة التكييف في الواجهات.
- المخلفات من القمامة في الأراضي الفضاء، وحول صناديق القمامة.
- انتشار المساكن في مناطق المقابر.
- مشروعات الترميم في المناطق الأثرية، وعدم انسجام الأجزاء الجديدة مع القديمة.
- المباني المهدمة وسط العمارات الشاهقة.
- السيارات المحطمة، أو تلك المحملة ببضائع غير متناسقة في مظهرها.
- اللافتات ولوحات الإعلانات المعلقة في الشوارع بألوانها المتضاربة.
- إقامة المباني أمام المناظر الجميلة وإخفاؤها مثل: البحر أو أي مكان توجد به مياه.

وغيرها من الأمثلة الأخرى التي لا حصر لها.

ما يجب علينا:

يجب علينا إعادة النظر في كيفية إعطاء التراخيص الخاصة بالمباني والمنشآت المعمارية، ويجب أن تكون هناك شروط مرجعية مدروسة تسهم في الحفاظ على الشكل الجمالي للمدينة، وكذا إعادة توزيع ومراقبة العناصر التي تشوه المظهر العام للمدينة، والعمل على إزالتها، ، كما يجب سن تشريعات تلزم بالحفاظ على الذوق العام، ويجب على الجهات المعنية مثل وسائل الإعلام العمل على تحسين وتطوير مستوى الإحساس والذوق العام للمجتمع من خلال الأمثلة الحية لبعض مدن الجوار في الخليج، والتي تعتبر متميزة في ترتيبها، ونظامها، ولا نعطي أنفسنا تبريرات بأن مستوانا الاقتصادي لا يمنحنا فرصة للارتقاء بالذوق العام، فإعادة بناء الجمال للمدن لا تتطلب نفقات اقتصادية كبيرة بالقدر الذي نحتاج إليه في إعادة ترتيب المدينة، ووضع الأشياء في مكانها المناسب،وسن القوانين واحترام تنفيذها ، علاوة على كل ذلك يجب أن تتكون لدى المواطن ثقافة تشعره بالمسئولية بأن المدينة التي يعيش فيها هي المحيط الجمالي والفني الذي يتربى فيه أبناؤه وأصدقاؤه، وهي ملكه وملك جميع الناس من حوله .

غسيل أرضية منزل بمساحة 100 م2
بواسطة الرش يحتاج 90 لتراً على الأقل
بينما بواسطة المسح العادي يحتاج 18 لتراً

المؤتمر الوطني لإدارة وتنمية الموارد المائية في اليمن
Water in Yemen 2011
Yemen: Management and Development of Water Resources

مؤسسة 14 أكتوبر للصحافة والطباعة والنشر
14 OCTOBER
يومية - سياسية - عامة

SHEBA
CENTER FOR STRATEGIC STUDIES
مركز سبأ للدراسات الإستراتيجية